

مصوع تحتفل بعيدها الثلاثين

10 فبراير 1990 10 فبراير 2020



بقلم: د. أحمد حسن دحلي

يحتفل الشعب الارتري هذه الايام بالعيد الثلاثين لعملية " فنقل " - إجنتاث - التاريخية التي انطلقت شرارتها الاولى في 8 فبراير وتوجت بانتصار باهر في 10 فبراير من عام 1990 بتحرير مدينة مصوع الاثرية والاستراتيجية المشرفة على وسط حوض البحر الاحمر عبر ساحلها الطويل وأرخبيلها الكبير الذي يضم 127 جزيرة. فسقوط ميناء مصوع في يد قوات الجبهة الشعبية لتحرير ارتريا شكل ضربة قاضية ليس لقوات الاستعمار الاثيوبي وحدها، وانما لجميع القوى الدولية والاقليمية المتواطئة معها، ممثلة في الاتحاد السوفيتي السابق، وألمانيا لشرقية السابقة، واليمن الجنوبي السابق، والتي تورطت كلها سياسيا وعسكريا في الحرب ضد الثورة الارترية ونضالها الشرعي والمشروع من اجل الحرية والاستقلال.

وعملية " فنقل " البطولية لا يمكن ان تفهم ابعادها ودلالاتها واهميتها ما لم توضع في سياقها السياسي والعسكري على حد سواء، لأنها توجت قرار الانسحاب الاستراتيجي الذي اعتمده الجبهة الشعبية في عام 1978 من جانب، وشكلت بوابة تحرير ارتريا وسقوط النظام الاستعماري الاثيوبي في عام 1991 من جانب ثان:

فعلى الصعيد السياسي عمدت عدة دول غربية وشرقية وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي السابق، على الالتفاف على حق الشعب الارترى في الاستقلال بطرح مشروع الحكم الذاتي تارة، وبطلب العودة الى الاتحاد الفيدرالي السابق بصيغة معدلة طورا، ومارست سياسة الوعيد والتهديد ضد قادة الجبهة الشعبية لتحرير ارتريا بالتصفية والابادة العسكرية للثورة الارترية، ما لم يتخلوا عن مبدأ الاستقلال الكامل، ويقبلوا الارتباط بأثيوبيا بصيغة سياسية أو اخرى، ولكن من دون جدوى. فقيادة الجبهة الشعبية أكدت للسوفييت والامريكيين بأن موقفها المبدئي من حق الشعب الارترى في الاستقلال لا يقبل المساومة على الاطلاق. ولمن يريد المزيد من المعلومات المفصلة عن هذا الموضوع يمكنه العودة الى كتاب " حق لا يقبل المساومة " الصادر في مايو 2002 عن دار " الأمانة " للنشر في اسمرأ، والذي ألفه سكرتير الجبهة الشعبية للديموقراطية والعدالة، الامين محمد سعيد.

وعلى الصعيد العسكري عندما تدخل الاتحاد السوفيتي في عام 1978 في الحرب بجانب اثيوبيا ضد الثورة الارترية بمعداته الحربية المتطورة وخبرائه العسكريين، علاوة على مشاركة المانيا الشرقية السابقة واليمن الجنوبي السابق في الحرب ضد ثوار ارتريا، تغير ميزان القوى في الساحة الارترية، هذا مما جعل الجبهة الشعبية لتحرير ارتريا تتخذ قرار الانسحاب الاستراتيجي من كل المدن التي حررتها ومن مشارف اسمرأ العاصمة، والعودة الى قاعدتها الخلفية في مدينة نقفة وسلسلة جبالها التي تشكل حصانة طبيعة ضد سلاح الطيران والأسلحة الثقيلة. وقرار الانسحاب الاستراتيجي لم يكن سهلا قبوله في حينه، ولكن التاريخ أثبت صحته وحكمته. بدليل ان الجيش الاثيوبي بدعم سياسي وعسكري ولوجستي شن ثماني حملات عسكرية ضخمة متتالية من 13 يونيو 1978 لغاية 10 اكتوبر 1986 للقضاء على الثورة الارترية " مرة واحدة والى الابد " كما كان يقول حكامه واعوانهم بكل غطرسة وتبجح. ولكن الجبهة الشعبية لتحرير ارتريا لم تصمد في وجه تلك الحملات العسكرية فقط، بل استوعبتها عبر معارك استنزافية امتدت لعقد كامل من عام 1978 الى عام 1988، مغيرة المعادلة العسكرية رأسا على عقب.

ففي 17 مارس 1988 قام الجيش الشعبي للجهة الشعبية لتحرير ارتريا بهجوم مضاد كاسح ضد قوات المستعمر الاثيوبي في مدينة أفعبت، حيث كانت ترابط هناك اكبر جبهة عسكرية اثيوبية - سوفيتية في شمال ارتريا، ودمر تلك الجبهة التي كانت تعرف بـ " نادو- إز " في خلال يومين من معارك طاحنة، استولى الثوار خلالها على عدد كبير من راجمات الصواريخ والدبابات والمدافع الثقيلة البعيدة المدى، وقتل معظم القادة العسكريين الاثيوبيين في تلك الجبهة، وما تبقى منهم وقعوا اسرى ومن بينهم ثلاثة ضباط سوفيتيين وهم: العقيد يوري كليستروف يوري فيتروفيش، والعقيد يوريف يفينو نيكولافيتش، والملازم كابلدين الكسندر فيكتورفيتش.



وبعد سقوط جبهة " نادو - إز - وتحرير مدينة أفعبت في 19 مارس 1988، شرعت الجبهة الشعبية لتحرير ارتريا بوضع استراتيجية عسكرية لتحرير مدينة مصوع وقسم العمود الفقري للجيش الاثيوبي، فعلى مدى عامين كاملين قامت بتأمين مدينة أفعبت من ناحية، ودأبت من ناحية اخرى في احكام سيطرتها على كل المواقع الاستراتيجية المحيطة بمدينة مصوع تمتد من شعب وشبح لغاية قحتيلاي ودنقولو تحاتاي وماي عطل وام كلو وفورتو غربا وصولا الى مناطق امبيرمي وجرجوسم وجرار الواقعة بشمال ميناء مصوع، ووضع خطة للوحدات البحرية الارترية لكي تباغت سلاح البحرية الاثيوبية من الشمال والشرق في ساعة الصفر، هذا مع بسط قوات الجبهة الشعبية لتحرير ارتريا سيطرتها المطلقة على طريق اسمرأ - مصوع بغية احكام الطوق كلية حول عنق القوات البرية والبحرية الاثيوبية التي كانت متمركزة في مدينة مصوع، وذلك للحيلولة دون حصولها على امدادات عسكرية لكسر حصارها.

سقوط مدينة مصوع تحت سيطرة الثورة الارترية في 10 فبراير 1990، وقع كصاعقة في عقول ومعنويات حكام اثيوبيا وجنودهم واعوانهم من السوفييت والالمانيين الشرقيين واليمنيين الجنوبيين، فجمعوا ما تبقى من القوات الاثيوبية في ارتريا وسحبوا بعض وحداتهم العسكرية من جبهات اثيوبية، ليس بغية استعادة مدينة مصوع من الجبهة الشعبية وحسب، وانما بهدف الضغط عليها عسكريا لكي تعود مرة اخرى الى قاعدتها الخلفية في الساحل، ولكن هبت رياح الثورة الارترية بما لا تطيق سفينة المستعمر الاثيوبي واعوانه المترنحة.



فلم تفشل استراتيجية اثيوبيا في استعادة سلطتها الاستعمارية في ميناء مصوع الارترية فقط، بل ان تحرير مدينة مصوع شكل بوابة لنهاية الاستعمار الاثيوبي في ارتريا بإنهيار جبهة دقيمهري في 22 مايو 1991، وبسقوط اسمرأ العاصمة في 24 مايو كثرمة يانعة بين ايدي الثوار. وهكذا توجت مسيرة الثورة الارترية بعد نصف قرن من نضال سياسي وكفاح عسكري - 1941 - 1991، بخروج المستعمر الاثيوبي واعوانه واذنابه نهائيا من التراب الوطني الارترية ، بعد الهزيمة الماحقة التي منيت بها قواته في آخر معاقلها بمدينة - ميناء - عصب في 27 مايو 1991، وباقتلاع النظام الاستعماري الاثيوبي من جذوره في 28 مايو 1991 في أديس ابابا بمشاركة حاسمة لقوات الجبهة الشعبية لتحرير ارتريا.